وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة آكلي محند أولحاج – البويرة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم علم الإجتماع

Universite Akli Mhand Oulhadj- Bouira
Faculté sciences humaines et sociales
Département sociologie

شهادة مشـــاركة

تتشرف عميدة كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ورئيسة المؤتمر الدولي العلمي بعنوان:

"صناعة السياحة بين متطلبات التنمية وترقية المجتمع"

المنعقد أيام 28 / 29/ 30 أفريل 2018 بجامعة أكلي محند أولحاج -البويرة - بمنح هذه الشهادة للأستاذ(ة):

د. صلحاوي حسناء، د. قسمية منوبية، د. براهيمي عيسى. المؤسسة: جامعة بسكرة.

نظير مشاركته(ها) بمداخلة الموسومة بـ :

"واقع السياحة الصحراوية في الجزائر ودورها في المحافظة على التراث الثقافي للمجتمع الصحراوي-غرداية كنموذج-".

رئيسة المؤتمر
رئيس الملتقى
د. دوداح علجية

عميدة الكلية

الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أكلى محند أولحاج – البويرة–

استمارة المشركة

المؤتمر الدولي : صناعة السياحة بين متطلبات التنمية وترقية المجتمع

أيام 12–13–14 مارس 2018.

الاسم واللقب: قسمية منوبية.

الدرجة العلمية: دكتوراه في علم الاجتماع البيئي.

الجامعة: جامعة محمد خيضر البلد: بسكرة الجزائر

الاسم واللقب: صلحاوي حسناء.

الدرجة العلمية: دكتوراه في علم الاجتماع التربية.

الجامعة: جامعة محمد خيضر البلد: بسكرة الجزائر.

الاسم واللقب: عيسى براهيمي

الدرجة العلمية: استاذ محاضرأ.

الجامعة: جامعة محمد خيضر البلد: بسكرة الجزائر.

محور المداخلة: المحور الأول (البعد الاجتماعي والثقافي للتنمية السياحية).

عنوان المداخلة: واقع السياحة الصحراوية في الجزائر ودورها في المحافظة على التراث الثقافي للمجتمع الصحراوي –غرداية كنموذج–

الملخص المداخلة:

تعتبر السياحة من بين أهم النشاطات التي تهتم بالتراث الذي يميز أي مجتمع سواء كان التراث البيئي أو الاجتماعي أو الثقافي أو التاريخي، كما تعمل على التعرف على الطابع الحضاري والمعالم الأثرية والبحث في خباياها وأسرارها، وتعتبر الدولة الجزائرية من بين الدول التي تتميز بمقومات سياحية هامة بالأخص الصحراوية لما تمتلكه من صحراء شاسعة وواحات متميزة لها طابع خاص يجلب السياح من كل منطقة في العالم، ولكي نتمكن من تنمية السياحة الصحراوية في بلادنا واستدامتها يجب علينا في البداية الاهتمام بالتراث الصحراوي لأنه من المقومات الأساسية للنهوض بهذا النوع من السياحة، وتعتبر ولاية غرداية وبالأخص واد ميزاب و ما يتميز به هذا الموقع من قيمة جمالية وحضارية وتاريخية من أهم المناطق الصحراوية الواعدة في المجال السياحي ، لهذا ارتأينا في هذه المداخلة التعرف على واقع السياحة الصحراوية في الجزائر ودورها في المحافظة على التراث الصحراوي بشقيه المادي والمعنوي، باتخاذ ولاية غرداية كنموذج لهذه الدراسة.

الكلمات المفتاحية: السياحة، السياحة الصحراوية، التراث الثقافي.

Résume de l'intervention:

- Le tourisme est considéré parmi les activités les plus importantes qui s'intéresse au patrimoine qui distingue chaque peuple soit le patrimoine écologique, social, culturel ou historique.
- Le tourisme travaille aussi à connaître le caractère civilisateur et les monuments archéologiques également à la recherche de ses secrets.
- L'Algérie (l'état algérien) est estimée parmi les pays distingués des ses compétences sa touristique intéressantes, notamment les compétences sahariennes car elle possède un Sahara très vaste et des oasis (palmeraies) magnifiques; dont son caractère spécifique splendide attire les touristes de tous les régions du monde.
- Pour qu'on puisse développer le tourisme saharien de notre pays et sa continuité; il faut tout d'abord prendre soin du patrimoine saharien parce qu'il est l'un des constituants fondamentaux de la renaissance de ce genre du tourisme.
- La wilaya de GHARDAI et en particulier oued MIZZEB qui est connu par sa situation géographique remarquable sa superbe civilisation et son histoire tris ancienne qui le classe parmi les endroits sahariens prospectifs dans le domaine touristique; C'est pour quoi on a vu dans cette intervention d'étudier savoir et connaître la situation (réalité) du tourisme saharien en Algérie et son rôle matériel et spirituel de protéger et de réserver le patrimoine saharien , on a pris la wilaya de GHARDAI comme model pour cette étude.

مقدمة واشكالية:

تعد السياحة من أهم القطاعات التي تعول عليها الدول في تنمية اقتصادها الوطني وتنويعه، فهي واحدة من بين أكثر الصناعات نموا باعتبارها مصدرا هاما للعملات الصعبة، ومجالا كبيرا لتشغيل اليد العاملة، ووسيلة مهمة للحصول على العملات الأجنبية فهي تعمل على تحسين ميزان المدفوعات وبالتالي تساعد على حل المشكلات الاقتصادية[1].

وعليه، فالسياحة ظاهرة حضارية واقتصادية من ناحية وثقافية واجتماعية من جهة أخرى، فهي كنشاط إنساني تساعد على انتشار الثقافات وتزيد من حركة التواصل والاتصال بين الشعوب والمجتمعات، فهي ظاهرة من ظواهر العصر الحديث، والهدف منها الحصول على الاستجمام وتغيير المحيط الذي يعيش فيه الإنسان والوعي الثقافي المنبثق لتذوق جمال الطبيعة، ونشوء الاستمتاع بجمالها الطبيعي[2]، بالإضافة إلى أهميتها الثقافية كونها تدعو إلى التأمل في التراث الثقافي والتاريخي وتسهل الاتصال بها، كما أنها تمكن من الاستغلال الأمثل للموارد والمعطيات البيئية أو التي من صنع الإنسان مع المحافظة عليها وصيانتها، وهذا ما عرف حديثا بالسياحة البيئية والمستدامة.

هذا النوع من السياحة يسعى إلى تحقيق التوازن البيئي من خلال تنظيم النشاط السياحي بما يكفل الاستغلال العقلاني للعناصر الثقافية والبيئية ومحاولة إبراز المعالم الجمالية للمنطقة السياحية وزرع الثقافة البيئية بين السياح والسكان المحليين التي تدعو إلى حماية الإرث الثقافي الذي يميز أي منطقة. تدعو السياحة الصحراوية إلى ربط الاستثمار والمشاريع والنشاطات السياحية لتنمية المجتمع مع مفهوم حماية البيئية الصحراوية والتنوع الثقافي للمناطق الصحراوية بما يتيح العوامل الضرورية للنهوض بالواقع السياحي في الصحراء الجزائرية باعتباره من الروافد الأساسية لتنمية المجتمع في ظل الأفكار التنموية الشاملة والتخطيط الصحيح والاستغلال الأمثل للمؤهلات والمقومات السياحية ووقايتها واحترام التراث والثقافات المحلية.

لهذا ارتأينا في هذه المداخلة التعرف على دور السياحة في المحافظة على التراث الثقافي في الصحراء الجزائرية مع إلقاء الضوء على أهم المؤهلات السياحية لمنطقة غرداية لاعتبارها من أهم المناطق السياحية في

الجزائر وكيفية المحافظة عليها لتبقى كشاهد على تاريخ وحضارة هذه المنطقة الرائعة، ومنه نطرح التساؤل التالي:

التساؤل العام:

– ماهو واقع السياحة الصحراوية في الجزائر؟ وما هو دورها في المحافظة على التراث الثقافي للمجتمع الصحراوي؟

1. مفاهيم حول السياحة:

* **مفهوم السياحة:** للسياحة مفاهيم عديدة يختلف فيها كل واحد عن الآخر، فمنهم من ينظر إليها كظاهرة اقتصادية، ومنهم من يركز على دورها في تنمية العلاقات الدولية، ومنهم من يرى بأنها عامل من عوامل التنمية الثقافية، ومنهم من ينظر إليها كظاهرة اجتماعية وهكذا، وفيما يلي يمكن التطرق إلى بعض من هذه المفاهيم:

وهناك من يعرف السياحة أنها "ظاهرة اجتماعية تتضمن انتقال الأفراد من الأماكن المعتادة لإقامتهم إلى أخرى داخل دولهم عندئذ تسمى تلك السياحة بالسياحة الداخلية أو خارج دولهم ويطلق عليها السياحة الدولية."[3] يرى هذا التعريف بأن انتقال السياح يمكن أن يكون في نفس الدولة التي يقيمون فيها أو خارجها.

هناك مفاهيم أخرى ترى بأن السياحة " هي النشاطات التي يقوموا بها الأفراد عند سفرهم إلى أماكن خارج بيئة سكناهم للاستمتاع بالطبيعة أو القيام بأعمال أخرى، فهي نشاط السفر والزيارة لأحد المعالم لغرض شخصي، سياسي أو اقتصادي او اجتماعي...[4].

وهي أيضا :" ظاهرة من ظواهر عصرنا الحديث تنبثق من الحاجة المتزايدة إلى الراحة وإلى تغيير الهواء وإلى مولد الإحساس بجمال الطبيعة ونمو هذا الإحساس إلى الشعور بالبهجة والمتعة من الإقامة في مناطق لها طبيعتها الخاصة، وأيضا نمو الاتصالات على الأخص بين الشعوب وأوساط مختلفة من الجماعة الإنسانية وهي

الاتصالات التي كانت ثمرة اتساع نطاق التجارة والصناعة سواء كانت كبيرة أو متوسطة أو صغيرة وتقدم وسائل النقل."[5]

وفي الأخير نستطيع القول بأن السياحة هي ظاهرة اجتماعية تتعلق باستغلال أوقات الفراغ عند البشر وسفرهم إلى بلاد أخرى خارج أو داخل وطنهم الأصلي للراحة أو الاستجمام والتمتع بجمال الطبيعة، وزيارة الأماكن الأثرية والتاريخية أو المناطق الطبيعية التي تختلف عن مواطنهم الأصلية، بحيث لا تستغرق الرحلة وقتا طويلا و تمارس فيها عدة نشاطات.

***مفهوم البيئة:** هي المجال أو المكان أو الوسط الذي يشمل مساحة معينة قد تكون كبيرة أو صغيرة بكل ما فيها من كائنات حية وعناصر جامدة، ترتبط فيما بينها بعلاقات وتأثيرات متبادلة[6].

* **مفهوم السياحة البيئية المستدامة:** السياحة البيئية هي: « كل أشكال السياحة التي تهتم في الأساس بمراقبة وتقويم الطبيعة، وتمنع أي تلوث وأي تأثير يمكن أن يصيب البيئة الطبيعية أو التراث الثقافي"[7]، فهي اذن رحلة مسؤولة على المناطق الطبيعية، وحماية المحيط وهي تساعد السكان على أن يكونوا في أحسن حالة[8].

وهناك مفهوم أخر للسياحة البيئية يرى بأنها: " جزء من السياحة المستدامة تتبع أسسها من نواحي البيئية والاقتصادية والاجتماعية وتساهم بنشاط على المحافظة على الإرث الوطني الطبيعي والثقافي وهي تعمل على مشاركة السكان المحليين ومساهمتهم في تخطيط وتطوير المشاريع وبالتالي تخفف من النزوح السكاني نحو المدن الكبرى." [9]

كما يقصد بها أيضا السياحة المسؤولة بيئيا وتتجه إلى الطبيعة والحضارات الفطرية في مجموعات صغيرة للاستمتاع والمراقبة والتقدير والتعلم وإجراء بعض الأنشطة بدون ترك أي أثر سلبي على الموارد الطبيعية والحضارية والمجتمع وتعمل على تحسين المستوى المعيشي للسكان المحليين وتوفير موارد مادية للمجتمع المحلي والحفاظ على الموارد البيئية والتنوع الحيوي".[10]

ومن هذه التعريفات التي جاءت لتضع الملامح الأساسية للسياحة البيئية والتي تحاول أن تجعلها سياحة مسؤولة ومحافظة عل التراث البيئي والحضاري والثقافي وتحترم الثقافات المحلية وتساعد على تحسين معيشة السكان المحليين .

* **السياحة الثقافية:** تعتبر من أهم أنماط السياحة التقليدية التي يسعى فيها السائح إلى التعرف على أشياء جديدة، تثري معلوماته وتوسع دائرة فكره عن طريق زيارة مناطق أخرى، ودراسة أحوال شعوبها وخصائصها، كما يسعى إلى زيارة المعالم الحضارية والتاريخية والأثرية والمشاركة في المناسبات الثقافية، وهذا ما ينتج عنه احتكاك السياح بالثقافات الأخرى والاطلاع عليها واحترامها.[11]

***السياحة في المجتمع الصحراوي:** المجتمع هو مجموعة من الافراد تعيش في موقع معين ترتبط فيما بينها بعلاقات ثقافية واجتماعية يسعى كل واحد منها الى تحقيق المصالح والاحتياجات...[12].

-وتعرف **السياحة الصحراوية** على أنها: كل إقامة سياحية في محيط صحراوي، تقوم على استغلال مختلف القدرات الطبيعية والتاريخية والثقافية، مرفقة بأنشطة مرتبطة بهذا المحيط من ترفيه وتسلية واستكشاف.[13]

* **مفهوم البيئة السياحية:** إن البيئة بكل عناصرها الطبيعية، والبشرية والاصطناعية والاجتماعية هي الأساس الذي ترتكز عليه السياحة في العالم، وهي القاعدة التي تبنى عليها المشاريع السياحية المختلفة، وتحدد من خلالها نوعية المخططات السياحية المطروحة، لهذا نجد أن البيئة السياحية يجب أن تتوفر فيها شروط عديدة وهذا ما سنورده في التعاريف التالية:

وهناك من يرى بأن البيئة السياحية " هي البيئة التي يتوفر بها العناصر الطبيعية أو البشرية أو كلاهما معا، ما يجعلها منطقة جذب للسكان من خارجها لفترة محدودة من الزمن، وتضيف إليهم متعة قد تكون ترفيهية أو ثقافية أو علمية... الخ، تجعلها بصفة مستديمة منطقة جذب."[14]

فالبيئة السياحية بكل أنواعها " تعتبر مظهرًا من مظاهر العلاقات الإنسانية والحضرية، وهي مظهر ينمو ويتطور لأنه يرتبط بالطبيعة والتاريخ وحياة الشعوب مما يجعل منها أحد العناصر الجغرافية وهي التي تجمع بين الخصائص الطبيعية والخصائص الإنسانية."[15]

وفي الأخير نتوصل إلى تعريف البيئة السياحية بأنها كل مكان أو موقع يتميز بخصائص طبيعية أو جغرافية أو اجتماعية أو ثقافية أو حضارية تؤهله لأن يكون قطبا سياحيا صالحا لممارسة بعض النشاطات السياحية وقابلا لإنشاء مشاريع سياحية مختلفة تلبي حاجيات السياح وتعود بالفائدة على المجتمع المحلي.

2. مفهوم التراث الثقافي:

بطبيعة ما زرعه الله سبحانه في الإنسان من غرائز فطرية من غريزة حب البقاء وغيرها، كان سعي الإنسان حثيثا للتكيف مع بيئته فتفرض عليه سلوكا منتظما بما يحتويه من قيم ومبادئ رغبها أو لا، ويرسم عليها آثار ما يكتسبه من علم ومعرفة، ومن ثم يتناقل هذا الإنسان جيل بعد جيل منظومة مبادئ وأساليب البقاء وضمانات الاستمرار وما يلزمها من معارف وعلوم. ومن هنا نصل إلى التراث بمفهومه العام الذي يشمل كل ما فرضه –أتى به– الزمان من الأجيال السابقة إلى الأجيال الحالية معنويا كان أو حسيا ماديا، دون أن يكون لمن أنتجه وعمل به يد في رفضه أو تشكيله ، ويستمد من ثقافات المجتمع الصغير المعرفية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والأيدلوجية والدينية (معتقدات وشرائع)، ويخضع لعوامل تزيد أو تنقص من قوة كينونته في جيل عن آخر بما يطرأ على المجتمع من تغيرات بيئية و مدخلات حضارية.

* **مفهوم الثقافة:** تحديد هذا المفهوم أساسي لكل من أراد أن يدرس القيم والأخلاقيات والسلوك للفرد والمجتمع، وكيفية تفاعلها داخل المجتمع الواحد وبين المجتمعات، مما يؤدي إلى بناء صورة مستقلة لكل مجتمع تساعد في التعامل معه في جوانب عدة من الجوانب السياسية والاجتماعية و الفكرية ، فالثقافة هي حركة للمجتمع ككل، كما هي حركات الأحزاب السياسية والدينية. ويمكننا أن نقول أن الثقافة من صنع الإنسان الذي نشأ من تعامله مع البيئة بغرض الاستفادة أو التكيف. فظهر هنا مفهومين للثقافة أحدها يربطها بالجانب

المادي بالمنتجات و المدخلات العقلية من القيم والمعتقدات والمعايير والأفكار، والثاني يربطها بالجانب الحسي من مما يتعلق بنمط حياة الإنسان وعلاقاته مع الآخرين داخل المجتمع. فظهر من يقول بأن الثقافة: هي كل أوجه النشاط الإنساني التي جاءت نتيجة لاجتماعه، وكل ما قدمه هذا الإنسان لبيئته. وهي بهذا المفهوم الشامل ليست محدودة بمجموعة من المعارف التي تميز الإنسان المتعلم عن غيره حتى يطلق عليه بالمثقف وإنما ذاك جانب من النظرة الانتقائية لها، وإنما هي أنماط السلوك الإنساني وأساليب التعامل بين الأفراد والجماعات والمعتقدات المشتركة في شريحة المجتمع.

وكما يقول د. عفيفي: "هي محمله بالمعاني التي يعبر عنها الأفراد بلغتهم بما فيها من رموز لذلك فهي ليست نظرية إنما يكتسبها الفرد في سياق نموه ووسط هذه الجماعة، وتعتمد في وجودها واستمرارها على استمرار المجتمع، وإن كان هذا الوجود والاستمرار لا يتوقفان على وجود فرد بعينه أو جماعة[16].

إذا التراث الثقافي هو كل ما وصل الأمم المعاصرة من الماضي البعيد أو القريب سواء تعلق الأمر بماضيها هي أو بماضي غيرها من الشعوب أو بماضي الإنسانية جمعاء. فهو أولا: مسألة موروث، وهو ثانيا: مسألة معطى واقع يصنف إلى ثلاثة مستويات.

1. مستوى مادي يتمثل في المخطوطات والوثائق والمطبوعات والآثار والقصور والمعابد والأضرحة...الخ.

2. مستوى نظري يتحدد في مجموعة من التصورات والرؤى والتفاسير والآراء التي يكونها كل جيل لنفسه عن التراث انطلاقا من معطيات اجتماعية وسياسية وعلمية وثقافية تفرزها مقتضيات المرحلة التاريخية التي يجتازها أبناء ذلك الجيل.

3. مستوى سيكولوجي والمقصود به هو تلك الطاقة الروحية الشبيهة بالسحر التي يولدها التراث في المنتمين إليه حيث يجري احتكاره من قبل نخبة أو جماعة أو فئة من المنتفعين والمتسلطين قصد استغلاله في ميدان التوجيه السياسي والتعبئة الإيديولوجية نظرا لما يزخر به التراث من مفاهيم وتصورات وأفكار وعقائد وأساطير وعادات وتقاليد وفلكلور ومثل ومبادئ وقيم تملك سلطة قوية على مخاييل الأفراد والجماعات التي تعجز عن مقاومة

تأثيره عليها.

*** مناطق التراث الثقافي:**

مناطق التراث العالمي و تنقسم هذه المناطق إلى مناطق التراث الثقافي وهي عبارة عن نصب تذكارية أو مجموعة من المباني والممتلكات ذات قيمة تاريخية أو جمالية أو أثرية أو علمية أو أنثروبولوجية ومناطق التراث الطبيعية وهي عبارة عن مناطق طبيعية مميزة تضم عناصر إحيائية وتشكيلات جيولوجية ومواطن الأحياء الفطرية المهددة بالانقراض أو مناطق ذات قيمة طبيعية علمية أو جمالية حيث تحدد هذه المناطق من طرف اليونسكو وتهدف هذه الاتفاقية إلى حماية المناطق ذات القيمة التراثية العالمية العالية بإعلانها مواقع مهمة للتراث العلمي [17]. إن المناطق المحمية التي تنشأ بشكل صحيح وتدار بشكل فعال ومستدام لها قيمة عالية وفوائد كثيرة تعود على الإنسان وبقائه، وأيضا لها دور كبير في دعم الاقتصاد الوطني والمحلي من خلال تطوير برامج السياحة البيئية.

وختاما بعد أن تم تحديد هذه المفاهيم تظهر أن لكل مجتمع صبغة تميزه عن غيره وهذه تكونت بما حمله أفراد هذا المجتمع، وأيًّا كان هذا المجتمع يبقى عزيزا بثقافته مستقلا بشخصيته، متميزا بعطائه، يدل عليه إنتاجه الفكري المعنوي والمادي الحسي. ومتى ما خرج فرد على هذا المجتمع جُنِّب ورفض وظهر شاذًا فاقدًا لهويته فلم يكن ليقبله المجتمع ولا ليستقر في قرارة ذاته راضية عما يظهره مخالفا لما تغذاه من ثقافة مجتمعه.

3. الأهمية الاجتماعية والثقافية للسياحة:

للسياحة البيئية أهمية بارزة في العديد من مجالات المجتمع، وتتمثل هذه الأهمية فيما يلي:

تعمل على نشر ثقافة المحافظة على البيئة أحد المقومات الأساسية لتنمية النشاط السياحي، وذلك من خلال تعميق الإحساس والتعاون وأهمية المشاركة لتنمية الوعي البيئي لدى السياح أو السكان المحليين وتنويرهم بأهمية المحافظة على التوازن البيئي الطبيعي والفطري.[18]

تعتبر السياحة أداة للاتصال الفكري وتبادل الثقافات والعادات والتقاليد بين الشعوب، كما أنها تساعد على فهم الحضارة الإنسانية إذ أن التنوع الثقافي يساهم بشكل أو بآخر في التغيير والتطور الإنساني في مجمله، وذلك من خلال مخالطة الناس ورصد بعض جوانب حياتهم اليومية في مجتمع معين خلال فترة زمنية محددة، لهذا تعتبر السياحة أكثر المدارس تثقيفا وتعليما للإنسان عن طريق مشاهدته وتأملاته وزياراته للمعالم الحضارية والتاريخية والطبيعية.[19]

تعمل السياحة على حماية الموروث الثقافي الإنساني وفهم ثقافة الاختلاف واكتشاف المواقع التاريخية والأثرية والطبيعية الفطرية، والاهتمام بصيانتها كجزء من تراث البشرية، ومن ناحية أخرى تساهم في صناعة الأحداث والمناسبات الثقافية، والاستفادة من مناهل الثقافة المحلية التي تمتد لتشمل الفنون الجميلة والأدب والتاريخ والفلكلور والصناعات التقليدية، والربط بينها وبين الواقع البيئي المعاصر.[20]، والاهتمام بالبعد الجمالي سواء بالنسبة للبيئة الطبيعية أو التي من صنع الإنسان. [21]

كما أن السياحة توفر الموارد المالية اللازمة التي تستخدم فيما بعد لتطوير وصيانة الطبيعة والمنشآت الطبيعية كالمنتزهات والمحميات الطبيعية.[22]

تعد السياحة سياحة صديقة للمجتمع فهي تقوم على الاستفادة الكاملة لكل ما فيه من موارد وأفراد وهذا ما جعلها تتأثر وتؤثر فيه بشكل واضح وصريح، ويبرز هذا فيما يلي:

تحقيق قدر كبير من التفاعل الاجتماعي وزيادة العلاقات الاجتماعية من خلال حسن مقابلة ومعاملة السياح من مختلف الجنسيات والأعراق من طرف السكان المحليين للمجتمع المضيف.[23] كما تساعد السياحة على الانفتاح على الخارج، بخروج بعض المجتمعات من عزلتها وانغلاقها على ذاتها في الداخل.[24] وتعمل على إحداث نوعا من الازدهار والتطور في المجتمع وهذا ما يترتب عليه شعور أفراد المجتمع بحالة من الرضا العام، وهذا ما من شأنه أن يسهل الحراك الاجتماعي بين الطبقات المختلفة داخل المجتمع الواحد، نتيجة لزيادة العاملين في الحقل السياحي وبالتالي زيادة دخل الأفراد وهذا ما يحقق التوازن الاجتماعي.[25]

4. السياحة في الصحراء الجزائرية:

الصحراء الجزائرية هي صحراء تقع في وسط شمال أفريقيا ، وهي جزء من الصحراء الأفريقية الكبرى، تمثل مساحة الصحراء في الجزائر أكثر من 80 % من مساحتها الإجمالية، وبهذا تكون بلاد مغامرة حقيقية،

و تعتبر هذه الصحراء أكثر المناطق الصحراوية في العالم سخونة تمتد على أكثر من 3.5 مليون ميل مربع و هو تقريبا حجم الولايات المتحدة الأمريكية بأسرها. يعيش في هذه الصحراء منذ القدم القبائل الرحل وهم يعتبرون الصحراء مقرا لهم، وأكثر من 2.5 من السكان يقطنون بالحدود وأحيانا تكون الحياة قاسية جدا. إن الصحراء أرضا قاحلة ويعتقد بعض العلماء أنها المنطقة الأكثر جفافا خلال 3000 سنة. أغلب الرحل يتنقّلون للبحث عن الواحات وكثير منها يتوفّر على طبقة مياه جوفية توفر الكثير من المياه اللازمة لهم ولمواشيهم..[26] تعتبر الصحراء الجزائرية من أكبر وأروع الصحاري في العالم، وهي غنية جدا بالشواهد التاريخية التي هي جزء من الذاكرة المحفوظة للمنطقة، حيث تروي لزوارها تلك الحقب الزمنية المتعاقبة والحضارة الإنسانية التي عرفتها، والمتجلية أساسا في الغابات المتحجرة التي تعود إلى أزمنة جيولوجية غابرة إضافة إلى مواقع الكتابات البربرية التي تحمل رسائل مشفرة كانت بمثابة وسائل اتصال بين القوافل التجارية، حيث كانت الصحراء محطة عبور مهمة تربط شمال القارة الأفريقية بجنوبها، فمناطق الجنوب الجزائري تمتلك إمكانيات سياحية هائلة جدا من خلال شاسعة ترابها مما جعل منها مقصدا سياحيا لكافة المجتمعات خاصة المجتمع الأوروبي الذي أدرك جيدا أن المنطقة ذات جاذبية في الأسواق السياحية الدولية، فثراء المنطقة المتعدد يربطها ببعد أفريقي وبربري وعربي إسلامي من جهة العمران والمعتقدات والفنون الشعبية والنشاط التجاري والاقتصادي، فهذا الموروث الحضاري متعدد الأنواع فسح المجال لعرض المنتوج السياحي الثري (سياحة ترفيهية . سياحة بيئية . سياحة ثقافية).

لهذا تعد الصحراء الجزائرية منتجا سياحيا ثريا ومتنوعا لابد من حمايته واستغلاله للنهوض بالسياحة الصحراوية، كما يتميز الجنوب بوجود عدد كبير من الواحات المتناثرة عبر الصحراء تتميز بوجود غابات النخيل، التربة الخصبة، الكثبان الرملية، الهضاب، المنابع المائية المختلفة والسهول الحجرية من بين هذه

المناطق ولاية بسكرة، وادي سوف، غرداية، أدرار، عين صالح، ورقلة، جانيت، تمنراست، بشار. [27] كما تمتلك صحراء الجزائر إرثا حضاريا وتاريخيا هائلا يعتبر شاهدا عن تعاقب الحضارات البشرية والمراحل التاريخية التي مرت بها كل منطقة في هذا البلد، وقد صنفت العديد من هذه المعالم الثقافية والطبيعية من قبل منظمة اليونسكو ضمن التراث العالمي[28] .

5. واقع السياحة في غرداية:

تعتبر غرداية إحدى أكثر المواقع السياحية شعبية في الجزائر، تجلب السياح للتمتع بالكثبان الرملية والواحات والمعمار المتميز ومختلف المعالم الأثرية والتاريخية بالإضافة إلى الثقافة الدينية والشعبية لهذه المنطقة الصحراوية، حيث تقع غرداية بعد مدينتي العطف ومليكة أسسها الأباضية في القرن الحادي عشر ميلادي (1053) وتبعد عن العاصمة الجزائرية ب 600 كلم جنوبا. ونحاول فيما يلي إلقاء نظرة سريعة على أهم المقومات السياحية الثقافية المميزة لها.

الصناعات التقليدية : تعتبر زربية غرداية من أهم الصناعات التقليدية التي تلقى رواجا كبيرا. زيادة على الألبسة الصوفية كالقندورة والفيلة والخمري، كما تشتهر الولاية بالنقش على النحاس والخشب وصناعة الجلود والفخار والتحف الفنية. وخاصة صناعة الحياكة التقليدية والصناعات اليدوية والزرابي المشهورة فضلا عن منتوجات نسيجية أخرى مثل البرنوس وملابس الأطفال التقليدية وعناصر تذكارية. ومن بين المنتوجات التقليدية الأخرى نجد الملابس الجلدية والنحاس واللوحات الفنية الرملية التي أعطت لوادي مزاب شهرة كأحد أهم المناطق الحرفية أهمية في الجزائر.[29]

أعياد ومواسم: هناك العديد من الأعياد والمواسم التي يحرص السكان المحليين لغرداية على ممارستها لأنها تشكل جزئ لا يتجزأ من حياتهم وعاداتهم، ومن أهمها نذكر:عيد الزربية، عيد القصر القديم بالمنيعة، عيد المهري، الزيارات والوعدات.

المواقع الأثرية والمعالم التاريخية: واد ميزاب بغرداية وما يميز هذا الموقع هو قيمته الجمالية، إذ تحيط به خمسة قصور بتصاميم ذات طابع صحراوي وهندسة متناسقة مع البيئة التي تميز هذه المنطقة. صنفت العديد من هذه المعالم الثقافية والطبيعية من قبل منظمة اليونسكو ضمن التراث العالمي[30] ، عرفت غرداية منذ العصر الحجري ، العديد من الحضارات ، حيث تشهد عليها الصناعات الحجرية ، النقوش الصخرية ، والمعالم الجنائزية ، كما عرفت خلال الفترة الإسلامية المبكرة تجمعات سكنية على شكل قصور احتفظ بعضها بالأطلال.

وغرداية (أو تغردايت) تأسست على يد المزابيين قبل ألف سنة كمأوى لمجتمعهم بعد سقوط حكم الرستميين تأسست في قلب الصحراء المليئة بالصخور. ومن بين القرى المزابية التي ظلت قائمة إلى يومنا هذا نجد العاطف ومليكة وبنورة وبني يزقن، وتتميز غرداية بالعديد من المعالم المعمارية والأثرية التي تشهد على تاريخها من بينها نذكر:

أ/**القصور** : تتميز غرداية بالعديد من القصور العتيقة التي تبدو موحدة في شكلها متجانسة في ألوانها وهي كالتالي : – قصر تاجنينت (العطف) تأسس سنة 1012 م – قصر آت بنور (بنورة) سنة 1046 م – قصر تغرداية (غرداية) سنة 1053 م – قصر آت إزجن (بني يزغن) سنة 1353 م – قصر آت مليشت (مليكة) سنة 1355 م – قصر القرارة سنة 1630 م – قصر بريان سنة 1690م – قصر متليلي القرن 14م

المعالم الدينية: بني مزاب قبيلة أمازيغية تحافظ على تقاليدها ومعتقداتها وشعائرها التعبدية وأسلوب حياتها. ويتبعون المذهب الأباضي الإسلامي القديم الذي يختلف شيئا ما عن غالبية الجزائريين الذين يتعبون المذهب المالكي فيما يتعلق بطريقة العبادة والصلاة وهندسة المساجد. ويعرف المزابيون بلباسهم التقليدي وهو ما يعرف بسروال اللوبية (الفضفاض) والشاشية (طاقية الرأس). كما تتميز الولاية بالعديد من المساجد ، ومصليات جنائزية تقام فيها شعائر دينية موسمية.

وقد صُنّفت منطقة غرداية ضمن التراث العالمي من قبل المنظمة الأممية للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) في 1982، كما صنّفت أيضا قطاعا محميا من قبل السلطات العمومية في 2005 .و خضع هذا التراث المعماري للمنطقة الذي يشكل أحد أقطاب المعالم الثقافية والتراثية على المستوى العالمي إلى العديد من عمليات إعادة الاعتبار. [31]

بعد اطلاعنا على أهم المقومات الثقافية لغرداية يمكننا أن القول بأنها من أهم المناطق السياحية في الجزائر، رغم أن الجهات والسلطات المعنية لم تسخر الطاقات والإمكانيات المادية والمالية اللازمة لتنشيط السياحة المستدامة في هذه المنطقة.

إن السائح يبحث دائما على المناطق المتميزة بتراثها الثقافي وبيئتها الطبيعية، ويحاول اكتشافها والتعرف على تاريخها وعادات وتقاليد شعوبها، لهذا لو قمنا بالاستفادة من التراث الثقافي الذي تتميز به غرداية في المجال السياحي من خلال القيام بمجموعة من الإجراءات لحافظنا بذلك على هذا التراث والخصوصية الثقافية وهوية المجتمع والسكان المحليين، طبعا لكي يتحقق كل هذا يجب تبني سياحة مستدامة تعمل على حماية هذا التراث وحفظه للأجيال القادمة. إنها السياحة التي تحترم عادات وتقاليد المجتمع المحلي بفرض مجموعة من الضوابط السلوكية والأخلاقية على السياح خصوصا الأجانب.

كما يمكن الاستفادة من المعالم والأثرية والعمرانية ذات الطراز القديم من خلال ترميمها وصيانتها مع الإبقاء على حالتها القديمة وإعدادها بالمفروشات التقليدية للمنطقة واستعمالها كأماكن مخصصة لاستقبال السياح، تقدم فيها المأكولات المحلية، كما يرتدي موظفيها ملابس تقليدية، وبهذا نكون قد عملنا على تنمية السياحة في المنطقة دون المساس بطبيعتها الثقافية.

أن السياحة باعتبارها مورد اقتصاديا مهما يمكن الاستفادة من مداخليها المالية في العمليات الخاصة بترميم المعالم الأثرية والعمرانية التي تعتبر التراث الثقافي المادي للمنطقة.

إن زيارة السياح وخصوصا الأجانب إلى مثل هذه المنطقة الصحراوية التي تتميز بمناخها الحار وطبيعتها القاسية على غرار البيئات الصحراوية الأخرى، للتعرف على ما تزخر به هذه المنطقة من مقومات سياحية يؤكد على عظمة هذا التراث وتاريخها الحافل، كما بإمكان هؤلاء السياح شراء بعض النصب التذكارية من الإنتاج المحلي المزابيي إلى أصدقائهم و نقل ما شاهدوه وعاشوه خلال رحلتهم السياحية إلى غيرهم في بلادهم الأصلية وبالتالي تصبح هذه المنطقة معروفة عالميا.

الخاتمة:

تعتبر الدولة الجزائرية من بين البلدان المتوسطية التي تمتاز بمقومات سياحية وبيئية تؤهلها لتنمية السياحة البيئية وتطويرها من خلال الاستغلال العقلاني لهذه الموارد والاستفادة منها بإتباع الطرق المسؤولة التي تحافظ عليها للأجيال القادمة، لهذا حاولنا من خلال هذه الدراسة التعرف على السياحة البيئية في الجزائر باتخاذ ولاية غرداية كنموذج في الدراسة، لما تملكه من العديد من المقومات السياحية المتنوعة وبالأخص الثقافية منها المستمدة من البيئة الصحراوية والحضارات التي مرت بها، ولحماية هذه المقومات يجب الاهتمام بها واستثمارها بالشكل الذي يحفظها للأجيال القادمة، وقد تكون الاستفادة منها في المجال السياحي هي الحل لذلك لأن السياحة تعتبر النشاط الذي يهتم بالتراث الحضاري والثقافي لأي مجتمع.

قائمة المراجع:

[1] – فؤاد عبد المنعم بكري: **التسويق السياحي**، عالم الكتب، القاهرة، 2007، ص69.

[2] – jean Louis Barma: **Marketing du tourisme et de l'hôtellerie**. Edition d'organisation, Paris,2001, p 17

[3] – كمال درويش محمد الحمامي: **رؤية عصرية للترويح وأوقات الفراغ**. ط2، مركز الكتاب، مصر، 2004، ص 250.

[4] – Le petit Larousse, Edition Larousse, paris, 2007, p 1065

[5] – محمود كامل: **السياحة الحديثة علما وتطبيقا**، .الهيئة المصرية للكتاب، مصر، 1975، ص 30

[6] – محمد محمود سليمان: **العلوم الإنسانية ودورها في حماية البيئة. في مجلة دراسات استراتيجية**، مركز الدراسات والبحوث بجامعة دمشق، العدد 2004/12/13، دمشق، 2004، ص124.

[7] –Nadia Ben yahia et Karim Zein: Ecotourisme dans une perspective développement durable. contrebutions spéciale de sustainabele, Busniss, Suisse, 2003, p 2

[8]– وليام موريس: **آفاق استراتيجية–السياحة البيئية**–www. Alsabaah.com/paper.php–

يوم: 2008/11/16 الساعة 11:00.

[9] – المرجع سبق ذكره.

[10] – أحمد عبد السميع علام: **علم الاقتصاد السياحي**. دار الوفاء، الإسكندرية، 2008، ص .221

[11] – حسن أحمد شحاته: **التلوث البيئي وإعاقة السياحة**. مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 2006.، ص 42.

[12]: متاح على الرابط الالكتروني: **http://ar.m.wikipedia.org** الساعة: 21:40 اليوم:13-02-2018

[13]– الجريدة الرسمية: 3-01 -2003 المتعلق بالتنمية المستدامة للسيحة، العدد11، ص 5.

[14] – أحمد الجلاد: **السياحة المتواصلة البيئية**. عالم الكتب، القاهرة، 2002، ص37.

[15] – أحمد الجلاد: **دراسات في الجغرافية السياحية**، عالم الكتب، القاهرة، 1997، ص .98

[16]– عبد المنعم فهمي سعد: **الثقافة والتربية**. دار عمر، الأردن، 11984، ص ص(28- 30).

[17] – محمد أحمد البواردي: **الحياة الفطرية.في موسوعة العربية للمعرفة من أجل التنمية المستدامة**، ص ص(213– 214)

[18] – محسن أحمد الخضيري. **السياحة البيئية**. مجموعة النيل العربية، القاهرة، 2006.، ص 61.

[19] – هالة عبد الرحمان الرفاعي: **التأثيرات الاجتماعية والثقافية للسياحة في المجتمع المحلي**.ط2، الملتقى المصري للابداع والتنمية، الاسكندرية، 1998، ص ص(222 – 223)

[20] – محسن أحمد الخضيري: **السياحة البيئية**. ص .63

[21] – عثمان محمد غنيم ، بنيتا نبيل سعد: **التخطيط السياحي**. ص .22

[22] – حسن أحمد شحاته: **التلوث البيئي وإعاقة السياحة**.ص 87.

[23] – هالة عبد الرحمان الرفاعي: **التأثيرات الاجتماعية والثقافية للسياحة في المجتمع المحلي**. ، ص ص(71– 72).

[24] – محسن أحمد الخضيري: السياحة البيئية. ص 61.

[25]– فؤاد عبد المنعم بكري. **التسويق السياحي**. عالم الكتب، القاهرة، 2007.. ص 69.

[26]– الواحة الجزائرية: من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

[27] –المرجع نفسه. ص ص 42 – 43.

[28] – أحمد ملحة: الرهانات البيئية في الجزائر. ص 74.

[29]–غرداية، www.marefa:org

[30] – السياحة في الجزائر :/www.El_ mouradia.dz/arabe/algerie/géographie/algérien

[31]– غرداية . www.magarebia.com.